Dirasat, Shari'a and Law Sciences, Volume 49, No. 2, 2022

Deanship of Scientific Research

The History of the Qur`anic Readings in the Arabian Peninsula

*Khaleel Ibrahim Al-daradkeh**

Department of Basic Sciences, Princess Rahma University College, Al- Balqa Applied University, Jordan.

Received: 28/7/2021
Revised: 22/9/2021
Accepted: 12/11/2021
Published: 1/6/2022

* ***Corresponding author:***
k.daradkeh@bau.edu.jo

Citation: Al-daradkeh, K. I. (2022). The History of the Qur`anic Readings in the Arabian Peninsula. *Dirasat: Shari'a and Law Sciences*, *49*(2), 17-31.
https://doi.org/10.35516/law.v49i2.1427

© 2022 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

Abstract

Objectives: This research aims to trace the general and fundamental features of the origin, development and spread of the Qur'anic readings in the Arabian Peninsula. It investigates the most prominent authorities in Qur'anic readings from the era of the Prophet to the present day and highlights the most famous readings in their various historical stages.

Methods: This research adopts a historical approach based on induction, descriptive approach and analytical procedures within three stages. The stages are the stage of origin estimated in the first four Hijri centuries, the stage of development which extended between the fifth and eighth Hijri centuries, and finally, the stage of spread which started from the ninth century to the present time.

Results: The research reached to a result with a general overview of the history of Qur'anic readings in the Arabian Peninsula, highlighting the role of its main regions in this respect and focusing on the essential issues by avoiding the historical narration which is loaded with characters and digressions. Moreover, the research draws attention to some of the influences that accompanied the journey of Qur'anic readings in the Arabian Peninsula from the Prophet's era to the present day.

Conclusions: The research recommends that scholars and researchers should trace the history of the spread of Quranic readings in other Islamic regions, in order to draw a comprehensive map of this subject.

Keywords: The Holy Quran, Quranic readings, the Arabian Peninsula, history.

تاريخ انتشار القراءات القرآنية في الجزيرة العربية

*خليل إبراهيم الدرادكة**

قسم العلوم الإنسانية، كلية الأميرة رحمة الجامعية، جامعة البلقاء التطبيقية، السلط، الأردن.

ملخّص

الأهداف: يهدف هذا البحث إلى تتبع الملامح العامة والأساسية لنشأة علم القراءات القرآنية وتطوره وتاريخ انتشار القراءات القرآنية في الجزيرة العربية، ويرصد أبرز أعلامها ورجالها الذين انتهت إليهم رياسة الاقراء وأصبحت قراءتهم هي القراءة المستعملة بين الناس، ابتداء من عصر النبوة وحتى يومنا هذا، ويكشف عن أشهر الروايات والقراءات التي تعاقبت عليها في مراحلها التاريخية المختلفة.

المنهجية: انتهج البحث منهجا تاريخيا عماده الاستقراء، والتتبع، إلى جانب المنهج الوصفي، والإجراء التحليلي، ضمن الحدود الزمانية التي جاءت ضمن ثلاث مراحل: مرحلة النشأة، وتقدر بالقرون الأربعة الهجرية الأولى، ثم مرحلة التطور التي امتدت بين القرن الرابع والقرن الثامن، وختاما مرحلة الانتشار التي بدأت منذ القرن التاسع حتى يومنا هذا.

النتائج: انتهى البحث إلى رسم صورة عامة محورية لتاريخ القراءات القرآنية في الجزيرة العربية، مبرزا دور أهم أقاليمها في هذا الباب، وسلط الضوء على عموم المسألة، وتخفف من السرد التاريخي المشبع بالأعلام والأخبار، على نحو ما تزخر به كتب الطبقات والرجال، كما نبه على بعض المؤثرات التي رافقت رحلة القراءات في الجزيرة العربية منذ العصر النبوي إلى يومنا هذا.

التوصيات: يوصي البحث الدارسين والباحثين بتتبع تاريخ انتشار القراءات القرآنية في الأقاليم والأمصار الإسلامية الأخرى، للإسهام في رسم خارطة شاملة لهذا الموضوع.

الكلمات الدالّة: القرآن، القراءات القرآنية، القراء، الجزيرة العربية، التاريخ.

المقدّمة

لا يخفى على الدارس المتخصص في علم القراءات القرآنية أنه علم جليل شريف، يُعنى في عموم دلالته بكيفية أداء كلمات القرآن الكريم، وطريق أدائها اختلافا واتفاقا، واختلافها بعزو الناقل (ابن الجزري، 1999، ص3)، وقد أهتم بهذا العلم كثير من علماء المسلمين، شاركوا في نقله وبناء صرحه، وكان لبلاد الجزيرة العربية عامة، ومكة والمدينة خاصة فضل السبق في هذا العلم، فقد بدأت نواة مدارس القراءات القرآنية تتشكل فيها منذ عصر الوحي، ثم نشأت وتطورت وانتشرت منها في الدولة الإسلامية كافة، شأنها في ذلك شأن سائر العلوم، حتى أصبح لكل بلاد قارئ مشهور، يقرأ بحرف يوافق أو يخالف الحرف الذي يقرأه به غيره، ثم كان لهذه القراءات تطورها وانتشارها المختلف في حدوده الزمانية والمكانية، كانتشار حرف المدينة في المغرب العربي، وحرف ابن عامر في الشام، وحرف أبي جعفر ونافع في الحجاز، وغيرها.

ومن هذا التميز والفضل والسبق لبلاد الجزيرة العربية تأسس مسعى البحث في استقصاء تاريخي، مشفوع بنظر تحليلي لنشأة القراءات القرآنية في الجزيرة العربية، ثم تطورها، وأخيرا انتشارها، مع رصد مشاهير القراء فيها من الصحابة والتابعين ومن انتهت إليهم رئاسة الإقراء، ومن أخذ عنهم من أهل الفضل والصلاح، على نحو يكشف العوامل المؤثرة في تطورها، ويفسر الأسباب المحتملة لانتشار بعضها دون غيره، متتبعا العوامل المؤثرة فيه.

مشكلة الدراسة

تبرز مشكلة الدراسة في استشعار الباحث قلة المصادر والمراجع المطبوعة ذات الصلة بالقراء والقراءات القرآنية، وخاصة في الحقبة الأولى من صدر الإسلام، إلى جانب إشكالية تداخل القراءات الشاذة والمتواترة حتى القرن الرابع الهجري، ويضاف إلى ذلك التوسع والامتداد الذي شهدته رقعة الدولة الإسلامية، وحاجة الباحثين لتحديد بيانات القراء والقراءات في كثير من الأمصار، وعلى رأسها الجزيرة العربية.

حدود البحث ومنهجه.

تضمنت حدود البحث المكانية أشهر أقاليم بلاد الجزيرة العربية، استنادا لأشهر التقاسيم الجغرافية لها في تلك العصور، وقد أسفر النظر في أشهر المصادر والمراجع القديمة والحديثة التي تحدثت عن تاريخ شبه الجزيرة العربية أو بلاد العرب أن جغرافية هذه البلاد تتكون من عدة أقاليم رئيسة وأقاليم فرعية، وهي: الحجاز، وتهامة، وحضرموت، والعروض، وعمان، ونجد، واليمن، والبحرين، واليمامة (المقدسي، 1980)، إلا أن استقراء البحث الأولي للقراءات والقراء في الأقاليم التسعة السابقة الذكر كشف للدراسة أنها لم تكن كلها أماكن متفردة أو مؤثرة في قراءاتها وقرائها، وحصرت الدراسة الجهد استنادا لتاريخ القراءات القرآنية وتطورها وانتشارها ضمن: إقليم الحجاز (المدينة)، وإقليم تهامة (مكة)، وإقليم حضرموت (يعد امتداد لإقليم اليمن)، وإقليم اليمن (تحديدا الأجزاء اليمنية التي كانت تعد من ضمن الجزيرة العربية)، أما باقي الأقاليم، فقد كان واقع القراءات القرآنية فيها امتدادا للأقاليم التي تم تحديدها، وسيُشار إلى ما يتصل بها في موضعه، أما الحدود الزمانية للبحث، فقد جاء استعراضها العام والموجز منذ فجر القراءات القرآنية حتى العصر الحديث.

وتطلب مسار البحث القادر على تحقيق غاياته وأهدافه الاستعانة ببعض المناهج الأساسية، والأدوات البحثية المثلى، في مقدمتها المنهج التاريخي؛ وذلك من خلال التتبع اللازم في كتب الطبقات والتاريخ والمصنفات والتراجم المختصة بعلوم القرآن والقراءات، مقترنا بتحليل استقرائي يتتبع في تدرج زمني القضايا والجوانب المحيطة وذات الصلة بعنوان البحث وحدوده، من أجل إزالة الإشكالات المتصلة، وتفسير ظاهر تضارب النصوص في بعض المواضع، وصولا إلى الأحكام المقدر صحتها، والمبنية على الاستدلال العقلي والنقلي السليم، ولا تخلو بعض مواضع المعالجة من الاستعانة بالمنهج الوصفي من أجل رسم صورة دقيقة لواقع القراءة ضمن حدود البحث، ووصف أبعادها الحقيقية والتاريخية، في مختلف المراحل، على النحو الذي تتطلبه جزئيات البحث.

استنادا إلى ما سبق بيانه جاء تقسيم محاور البحث انعكاسا لغاياته وأهدافه، في ثلاثة مطالب رئيسة هي:

1. القراءات القرآنية في الجزيرة العربية حتى القرن الرابع الهجري- النشأة
2. القراءات القرآنية في الجزيرة العربية حتى القرن التاسع الهجري- التطور
3. القراءات القرآنية في الجزيرة العربية من القرن التاسع إلى اليوم- الانتشار

وتلا ذلك خاتمة تلخص أبرز النتائج والتوصيات التي انتهى إليها البحث، على نحو ما سيرد بيانه.

وأما أسباب اختيار موضوع البحث فيمكن إجمالها في السعي لإحياء ما تناقله سلفنا الصالح والمتعلق بالقراءات القرآنية، والوقوف على إبراز الأسماء التي كان لها شأن عظيم في علم القراءات القرآنية من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أصحاب الفضل الذين بذلوا وقدموا لازدهار هذا العلم، إضافة إلى تقديم موجز عام ومفاتيح رئيسة لخص تاريخ القراءات القرآنية في الجزيرة العربية الذي يحتاج إلى جهد كبير من الباحثين في دراسته والوقوف عليه.

المبحث الأول: القراءات القرآنية في الجزيرة العربية حتى القرن الرابع الهجري- النشأة.

تتبع مكة لإقليم تهامة، وتعد هي النواة الأولى في علوم القرآن والقراءات وفيها نشأت؛ إذ نزل القرآن العظيم في مكة المكرمة على النبي صلى الله عليه وسلم، وكان الصحابة رضي الله عنهم أقرب الناس إليه، وكانوا على درجة عالية من الهمة، وحمل المسؤولية في تبليغ الدين، وكان منهم من برع في

حفظ الحديث، ومنهم من كان عارفاً بالحلال والحرام، ومنهم من تميز في حفظ القرآن وتلاوته، وملازمة النبي صلى الله عليه وسلم وكتابة ما ينزل من القرآن، وبرز من هؤلاء الصحابة أُبي بن كعب رضي الله، وجاء في الحديث: "أقرؤكم أُبي" (البغوي، 1983، ج14ص185)، وهو من ترجع إليه القراءة في مكة المكرمة والمدينة المنورة، وهو "أقرأ الأمة، عرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم، وأخذ عنه القراءة ابن عباس، وأبو هريرة، وعبد الله بن السائب، وعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة، وأبو عبد الرحمن السلمي" (الذهبي، 1998، ص13).

وجاء في الغاية في طبقات القراء: "قرأ أُبي على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن العظيم، وقرأ عليه النبي صلى الله عليه وسلم بعض القرآن" (ابن الجزري، د.ت، ج1، ص 31)، قال ابن الجزري: "للإرشاد والتعليم، فهو سيد القراء بالاستحقاق، وأقرأ هذه الأمة على الإطلاق، اختلف في موته اختلافاً كثيراً، والذي هو عندي أشبه بالصواب قبل مقتل عثمان بجمعة أو بشهر" (ابن الجزري، د.ت، ج1 ص13).

إن ما سبق اقتباسه، وغيره كثير يدلل على المكانة التي تبوأها أُبي ابن كعب في القراءة، ويعاضد ذلك أن العديد من الأسانيد في القراءات القرآنية ترجع إلى أُبي بن كعب رضي الله عنه، وكما تميز رضي الله عنه بالقراءات فقد تميز تلاميذُه وهم كُثر، إذ برز من بينهم: عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عياش اللذين حملا عنه القراءات المختلفة التي تلقاها من فيّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكل واحدٍ منهم بقراءة غير قراءة الآخر، فعبد الله بن عباس اشتهرت قراءته في مكة المكرمة؛ وأما عبد الله بن عياش فكانت قراءته في المدينة المنورة.

برز عبد الله بن عباس عالما ملما بعلوم كثيرة، متخصصاً في علوم القرآن الكريم، في التفسير والقراءات القرآنية، وغيرها، قرأ القرآن على أُبي بن كعب، وقرأ عليه عكرمة بن خالد، وسليمان بن قتة شيخ عاصم الجحدري وأبو جعفر وغيرهم، وتوفي بالطائف سنة ثمان وستين (الذهبي، 1998، ص 22)، وقرأ عليه أيضًا مجاهد بن جبر الإمام أبو الحجاج، شيخ القراء والمفسرين، وأورد صاحب سير أعلام النبلاء قوله: "حدثنا الفضل بن ميمون: سمعت مجاهدا يقول: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة" (الذهبي، 1985، ج4 ص450)، وقرأ على مجاهد "ابن كثير، وأبو عمرو، وابن محيصن، وغيرهم، توفي سنة ثلاث ومئة وقد نيف على الثمانين" (الذهبي، 1985، ج1 ص19).

ويُشار هنا إلى أن قراءة عبد الله بن كثير المكي، هي عن مجاهد بن جبر عن ابن عباس عن أُبي بن كعب عن النبي- صلى الله عليه وسلم- وهي القراءة التي استقرت في مكة المكرمة، مع العلم أنها ليست القراءة الوحيدة التي كانت فيها؛ ولكنها القراءة التي شاع استعمالها، ونقل الإمام الشافعي قراءة ابن كثير، وأثنى عليها، وقال: "قراءتنا قراءة عبد الله بن كثير، وعليها وجدت أهل مكة، وقال الأصمعي قلت لأبي عمرو: قرأت على ابن كثير؟ قال: نعم، ختمت على ابن كثير بعدما ختمت على مجاهد، وكان ابن كثير أعلم بالعربية من مجاهد، قال ابن مجاهد: ولم يزل عبد الله بن كثير الإمام المجتمع عليه في القراءة بمكة حتى مات سنة عشرين ومائة بمكة- رضي الله تعالى عنه- (ابن الجزري، د.ت، ج1 ص443).

وكان في مكة قراء كبار، منهم: عبد الله بن السائب، قرأ عبد الله القرآن على أُبي بن كعب وعرض عليه القرآن مجاهد وعبد الله بن كثير فيما قيل، وعن مجاهد قال "كنا نفخر على الناس بقارئنا عبد الله بن السائب، وبفقيهنا ابن عباس، وبمؤذننا أبي محذورة، وبقاصّنا عبيد بن عمير الليثي، قلت توفي في حدود سنة سبعين في إمرة ابن الزبير" (الذهبي، 1998، ص25)، وإسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين "قارئ أهل مكة في زمانه، وآخر أصحاب ابن كثير ومنهم سعيد بن جبير، قرأ على ابن عباس، وقرأ عليه أبو عمرو، والمنهال بن عمرو" (الذهبي، 1998، ص85)، وكلهم كانوا يقرؤون بقراءة واحدة: حرف ابن كثير وغيرهم كثير، لأن مكة كانت مهبط الوحي، ومعقل الصحابة والتابعين والعلماء، فهي عاصمة العلم الأولى، كما أنها كانت مركزا تجاريا للمنطقة وملتقى الوفود، فيها الكعبة المشرفة، وهي أشرف بقعة على وجه الأرض، وجاء الاقتصار على من ذكرنا من التابعين من القراء في مكة؛ لأنهم أعلام برزوا في هذا الجانب، وتجردوا للقراءة، واشتدت بها عنايتهم، ولها طلبهم، حتى صاروا بذلك أئمة يأخذها الناس عنهم، ويقتدون بهم فيها، وعلى الرغم من ذلك كان غيرهم من التابعين يقرؤون القرآن الكريم، حيث تلقوه عن الصحابة الكبار رضي الله عنهم، لكنهم اتجهوا إلى علوم أخرى كالحديث والفقه والجهاد، وكان عبد الله بن كثير بن المطلب الداري المكي إمام المكيين في القراءة، "تصدر للإقراء وصار إمام أهل مكة في ضبط القرآن، قرأ عليه أبو عمرو بن العلاء وشبل بن عباد ومعروف بن مشكان وإسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين وطائفة"(الذهبي، 1998، ص49-50).

يعد عبد الله بن كثير من كبار القراء العشرة، وله راويان هما أحمد بن محمد بن عبد الله أبي بزة أبو الحسن البزي المكي المقرئ "قارئ مكة ومؤذن المسجد الحرام، توفي البزي سنة خمسين ومئتين رحمه الله تعالى" (الذهبي، 1998، ص103)، والثاني: قُنبل، مقرئ أهل مكة وهو أبو عمر محمد بن عبد الرحمن بن محمد مكي، ولد سنة خمس وتسعين ومئة "وجوّد القراءة على أبي الحسن القوّاس، وأخذ عن البزّي أيضا وانتهت إليه رئاسة الإقراء بالحجاز، توفي سنة إحدى وتسعين ومئتين، وقرأ عليه خلق كثير" (الذهبي، 1998، 133)، ولم تكن رواية البزّي وقنبل متصلة بإمامهما ابن كثير مباشرة، بل كان بينهم قُرّاء تلقّيا القراءات عنهم.

إن ما سبق تقديمه للآن يمثل المعالم الأساسية، والخطوط الرئيسة لنشأة القراءات في مكة، وأبرز أعلامها، غير أن البحث والاستقصاء الذي تم للبحث، كشف عن بعض الملحوظات التي يمكن إجمال أهمها في النقاط الآتية:

- يرصد الباحث في مصنفات الأوائل وتراجمهم وطبقاتهم ذات الصلة، ظاهرة أخذ المتأخر عن الأول، حتى لنكاد نجد الخبر أو الرواية أو الترجمة ذاتها ترتحل من مصنف إلى آخر، ولهم عذرهم في ذلك، فجلهم من الثقات.

- على الرغم من الملحوظة السابقة إلا أن ذلك لم يمنع من وقوع بعض الاختلافات في الروايات، أو سلسلة الترجمة، كتغيير في الأسماء، أو حذف، أو زيادة، على نحو يتطلب التمحيص فيها لتغليب أصحها وأدقها عند تأريخ نشأة هذا العلم وتطوره.
- كانت المعاصرة، وتعدد التلاميذ وتعدد الشيوخ سببا من أسباب اختلاف المصنفين في أعلام القراءّ، وشيوخهم، ومن قرأ عليهم ومن قرأوا عليه، ومن هنا يتراءى للدراسة أن اختيار المصنفين في مواضع كثيرة كان فيه مراعاة لاشتهار الشيوخ ومشاهير التلاميذ، على نحو قد يُغفل ذكر بعضهم.

تلك الملحوظات وغيرها تجعل التسلسل في عرض القراء، وتتبع نشأة علم القراءات وتطوره في حدود البحث أمرا يماثل صنعة كتب التراجم وطبقات الرجال، ويضيق عنه المقام، فكان الاجتهاد باستقراء المسألة استقراءا دقيقا من أمهات الكتب التي يعتد بها في هذا الباب، وعرض النتيجة بصورة يسيرة، تتمثل في خريطة عامة، من خلال الرسم الموضح أدناه لشجرة مشاهير القراء الذين يمثلون مرحلة النشأة، وبداية التطور في علم القراءات ورجاله في الجزيرة العربية، وتحديدا في مكة، في ضوء الملحوظات التي ذكرناها، ابتداء بالصحابي الجليل أُبي بن كعب؛ لمكانته التي أوضحنا جانبا منها في مبتدأ هذا المبحث.

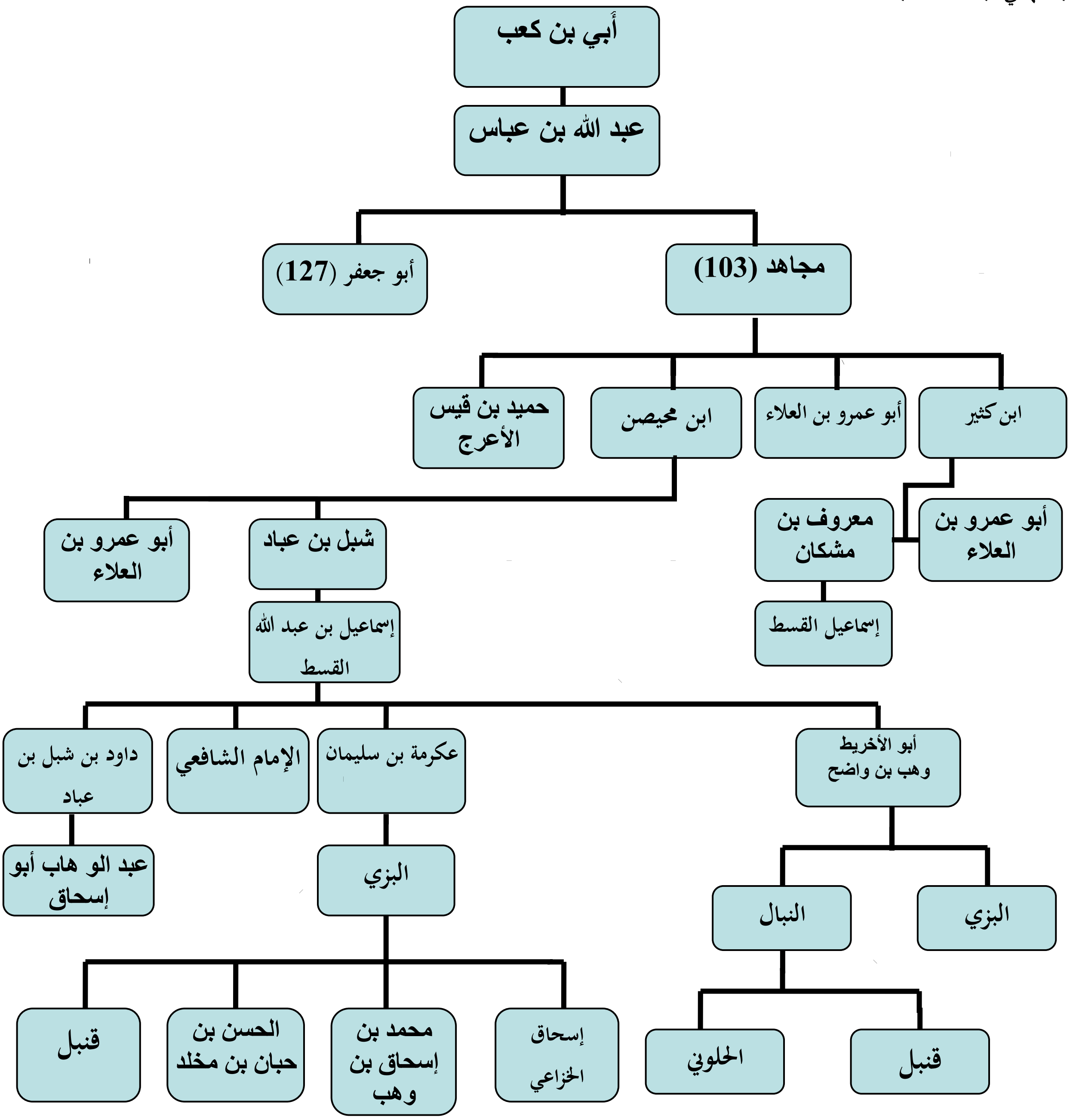

الشكل (1): رسم توضيحي موجز لمشاهير القراء مكة المكرمة منذ صدر الإسلام وحتى نهاية القرن الثالث الهجري.

هذه الخلاصة لتتبع أعلام القراء في مكة المكرمة منذ صدر الإسلام وحتى نهاية القرن الثالث الهجري، تبين الذين انتهت إليهم رئاسة الإقراء، وبفضلهم نشأ علم القراءات، ويضاف إلى ذلك أنهم كانوا جميعا يقرؤون بقراءة واحدة، ويدلل على ذلك قول ابن مجاهد: "والقراءة التي عليها الناس بالمدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام هي القراءة التي تلقوها عن أوليهم تلقيًا، وقام بها في كل مصر من هذه الأمصار رجل ممن أخذ عن التابعين، أجمعت الخاصة والعامة على قراءته وسلكوا فيها طريقه وتمسكوا بمذهبه" (ابن مجاهد، 1980، ج1 ص45). وبمزيد من البحث يتبين سبب انتشار قراءة ابن كثير في ذلك الحين، وهو أن قراءته هي قراءة تلك الأعلام التي نزلت منزلة عظيمة، يقول المقدسي:" القراءات بمكة على حرف ابن كثير، وباليمن قراءة عاصم ثم قراءة أبي عمرو مستعملة في جميع الأقاليم، وسمعت بعض صدور القراء بمكة يقول ما رأينا ولا سمعنا أن أحداً أمّ خلف هذا المقام بغير قراءة ابن كثير إلا في هذا الزمان" (المقدسي، 1980، ج1 ص108).

أما المدينة المنورة فهي حاضرة إقليم الحجاز، وهي دار هجرة الرسول- صلى الله عليه وسلم- التي استقر بها عدد كبير من صحابته الكرام، فقامت بها مدارس للقراءة، والحديث، والفقه والتفسير، تقتفي أثره -صلى الله عليه وسلم- وتتبع سننه وبدأت نشأة القراءات فيها أيضا مع سيد القراء أُبي بن كعب رضي الله عنه، فالقراءةُ في مكة المكرمة تدرجت من أُبي بن كعب إلى عبد الله بن عباس، إلى مجاهد- رضي الله عنهم- أما نشأة القراءات في المدينة المنورة؛ فهي من أُبي بن كعب، إلى عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي المكي ثم المدني القارئ، "قرأ القرآن على أبي بن كعب، قرأ عليه مولاه أبو جعفر القارئ وشيبة بن نصاح وغيرهم الكثير، ولكنهم كانوا الأبرز والأكثر تخصصًا وشهرةً، وإليهم انتهت القراءة في المدينة المنورة مات ابن عياش بعد سنة سبعين والله أعلم"(الفاسي، 1998، ج4 ص399).

أما أبو جعفر القارئ يزيد بن القعقاع؛ فهو أحد العشرة، مدني مشهور "رفيع الذكر قرأ القرآن على مولاه عبد الله بن عياش وفاقا، تصدى لإقراء القرآن دهراً، فورد أنه أقرأ الناس من قبل وقعة الحرة، قرأ عليه نافع بن أبي نعيم وسليمان بن مسلم بن جماز وعيسى بن وردان الحذاء وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، توفي سنة سبع وعشرين ومائة (الذهبي، 1998، ص40)، قال ابن الجزري: "أقرأ بقراءة أبي جعفر من رواية العمري؛ فإنه قرأ بها وكان مقرئ أصبهان" (ابن الجزري، 1999، ص 29)، وفي هذا دليل على أن قراءة أبي جعفر كانت مستعملة في أصبهان والمدينة المنورة، ونقل ابن الجزري عن الإمام الحسن بن أحمد الهمداني في أول كتابه الذي سماه (غاية الاختصار في قراءة العشرة أئمة الأمصار): "أما بعد؛ فهذه تذكرة في اختلاف القراء العشرة الذين اقتدى الناس بقراءاتهم وتمسكوا فيها بمذاهبهم من أهل الحجاز والعراق والشام واقتصرت فيها على الأشهر من الطرق والروايات، وأرجأت وحشيها ونادرها ومنكرها ونافرها، وقدم على الجميع أبا جعفر، ويعقوب على الكوفيين وأجرى الثلاثة مجرى السبعة" (الذهبي، 1998، ص44).

ويأتي بعده شيبة بن نصاح المدني المقرئ الإمام "مولى أم سلمة رضي الله عنها، وأحد شيوخ نافع في القراءة وقاضي المدينة ومقرئها مع أبي جعفر" (ابن الجزري، 1999، ص64)، قرأ القرآن على عبد الله بن عياش، قرأ عليه نافع وإسماعيل بن جعفر وسليمان بن مسلم بن جماز، وكان نافع هو القارئ الثالث من قراء المدينة، ولم يكن يقرأ بقراءتهم وأصبحت قراءته مستعملة؛ بل وأصبحت هي القراءة الوحيدة المستعملة كما سيمر معنا، يقول المقدسي: "وأما أصحاب القراءات المستعملة اليوم فعلى أربعة أقسام: حروف أهل الحجاز وهن أربع: قراءة نافع وابن كثير وشيبة وأبي جعفر، وحروف أهل العراق وهن أربع: أحرف عاصم وحمزة والكسائي وأبي عمرو، وقراءة أهل الشام وهي لعبد الله بن عامر، وحروف الخاص وهن أربع: قراءة يعقوب الحضرمي واختيار أبي عبيد واختيار أبي حاتم وقراءة الأعمش، وأكثر الأئمة على أن الجميع على صواب" (المقدسي، 1980، ج1 ص39)، وذكره ابن الجزري حين بين سبب اختيار الأمة لهؤلاء القراء، وقال عنهم: "هم الذين اشتهر أمرهم، وأجمع أهل مصرهم على عدالتهم فيما نقلوا، وتوثيقهم فيما قرأوا ورووا وعلمهم بما يقرؤون، ولم تخرج قراءتهم عن خط مصحفهم، فمنهم بالمدينة أبو جعفر وشيبة ونافع، وبمكة عبد الله بن كثير وحميد بن قيس الأعرج وابن محيصن، وبالكوفة يحيى بن وثاب وعاصم والأعمش وحمزة والكسائي، وبالشام عبد الله بن عامر وعطية بن قيس الكلابي ويحيى بن الحارث الزماري، وبالبصرة عبد الله بن أبي إسحاق وأبو عمرو بن العلاء وعاصم الجحدري ويعقوب الحضرمي"(ابن الجزري، 1999، ص23)، وهؤلاء هم الذين نشأت على أكتافهم نواة قراء الحجاز وأعلامه.

وقال ابن الجزري عن اجتهاد ابن مجاهد في كتاب السبعة على أنه "أخطأ الذي ابتدأ بجمع سبعة. قلت: والحق أنه لا ينبغي هذا القول، وابن مجاهد اجتهد في جمعه، فذكر ما وصله على قدر روايته، فإنه- رحمه الله- لم تكن له رحلة واسعة كغيره ممن كان في عصره، غير أنه- رحمه الله- ادعى ما ليس عنده فأخطأ بسبب ذلك الناس، لأنه قال في ديباجة كتابه ومخبر عن القراءات التي عليها الناس بالحجاز والعراق والشام وليس كذلك بل ترك كثيرا مما كان عليه الناس في هذه الأمصار في زمانه، كان الخلق إذ ذاك يقرؤون بقراءة أبي جعفر وشيبة وابن محيصن والأعرج والأعمش والحسن وأبي الرجاء وعطاء ومسلم بن جندب ويعقوب وعاصم الجحدري وغيرهم من الأئمة" (ابن الجزري، 1999، ص 83)، وهو ما يعزز القول بريادته للقراء في المدينة.

كانت القراءة في المدينة المنورة حتى نهاية القرن الأول هي القراءة التي يقرأ بها أبو جعفر المدني، وشيبة بن نصاح، حتى أخذ عنهم الأمام، نافع وانتهت إليه رئاسة الإقراء في المدينة المنورة، ولم تقتصر قراءة الإمام نافع على قراءة أبي جعفر وشيبة؛ لأن نافعا قرأ على سبعين من التابعين، ولم يكن يُلزم الناس بقراءته، "قال الأعشى: كان نافع يسهل القرآن لمن قرأ عليه إلا أن يقول له إنسان أريد قراءتك" (شيخ الزور، 1995، ص3)، ويوضح عبد الفتاح القاضي ذلك بقوله: "لإنه ليس معنى نسبة القراءة الى شخص معين أن هذا الشخص لا يعرف غير هذه القراءة. ولا أن هذه القراءة لم تُروَ عن غيره، بل المراد من إسناد القراءة إلى شخص ما أنه كان أضبط الناس لها، وأكثرهم قراءة وإقراء بها، وهذا لا يمنع أنه يعرف غيرها، وأنها رويت عن غيره" (القاضي، 2002، ص12)، وقرأ على مالك الموطأ، "وقرأ عليه مالك القرآن، وقال: قراءة نافع سُنّة، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالمدينة المشرفة، وأجمع الناس عليه بعد شيخه أبي جعفر" (المارغني، 2005، ص54).

وخلاصة البحث في النشأة أنه قد انتهت رئاسة الإقراء واجتماع الناس في المدينة على ثلاث قراءات، كان أبو جعفر أسبقها، يليه شيبة، ثم تلاهما نافع بن أبي نعيم، "وإليه صارت قراءة أهل المدينة، وبها تمسكوا" (الناصري، 2003، ج1 ص127)، قال الأصمعي: "عن فلان قال: أدركت المدينة سنة مئة ونافع رئيس في القراءة"(الذهبي، 1998، ص65)، وقال الليث بن سعد: "حججت سنة ثلاث عشرة ومائة وإمام الناس في القراءة بالمدينة نافع بنُ أَبي نعيم، قلت: لا ريب أن الرجلَ رأس في حياة مشايخه" (الذهبي، 1985، ج13 ص382)، وقال قالون: "كان نافع أكثر اتباعا لشيبة منه لأبي جعفر، وقال:حدثنا سليمان بن مسلم رجع شيبة إلى قراءة أبي جعفر حين مات أبو جعفر" (الذهبي، 1998، ص45) أيّ يُعلم حرف أبي جعفر، وكانوا يُعلِّمون غيرها من القراءات التي ثبتت عن النبي- صلى الله عليه وسلم- وإن لم تصلنا لمخالفتها بعض القواعد والشروط التي وضعها ابن الجزري، ولكن هذا عند الخاصة، فمدينة رسول الله هي مدينة العلم الكبرى، أما القراءة المستعملة في المدينة عند العامة؛ فهي قراءة نافع واستمرت حتى القرن الرابع.

لم يكن سهلا إعداد رسم توضيحي موجز لمشاهير القراء في المدينة، ذلك أن عددهم كان كبيرا جدا، وجُلّهم من الصحابة وكبار التابعين وتلاميذهم، وبعضهم كان يفد على المدينة ثم يصدر عنها، ويحتاج الأمر إلى كتاب متخصص بهم، ومثل هذا ما تنبه له ابن الجزري، فهو – على سبيل المثال- حين يتحدث عن قراء القراءات المتواترة يؤكد أن "المقرئين بها كثيرون لا يحصون، استوعبتهم في كتاب طبقات القراء" (ابن الجزري، 1999، ص29)

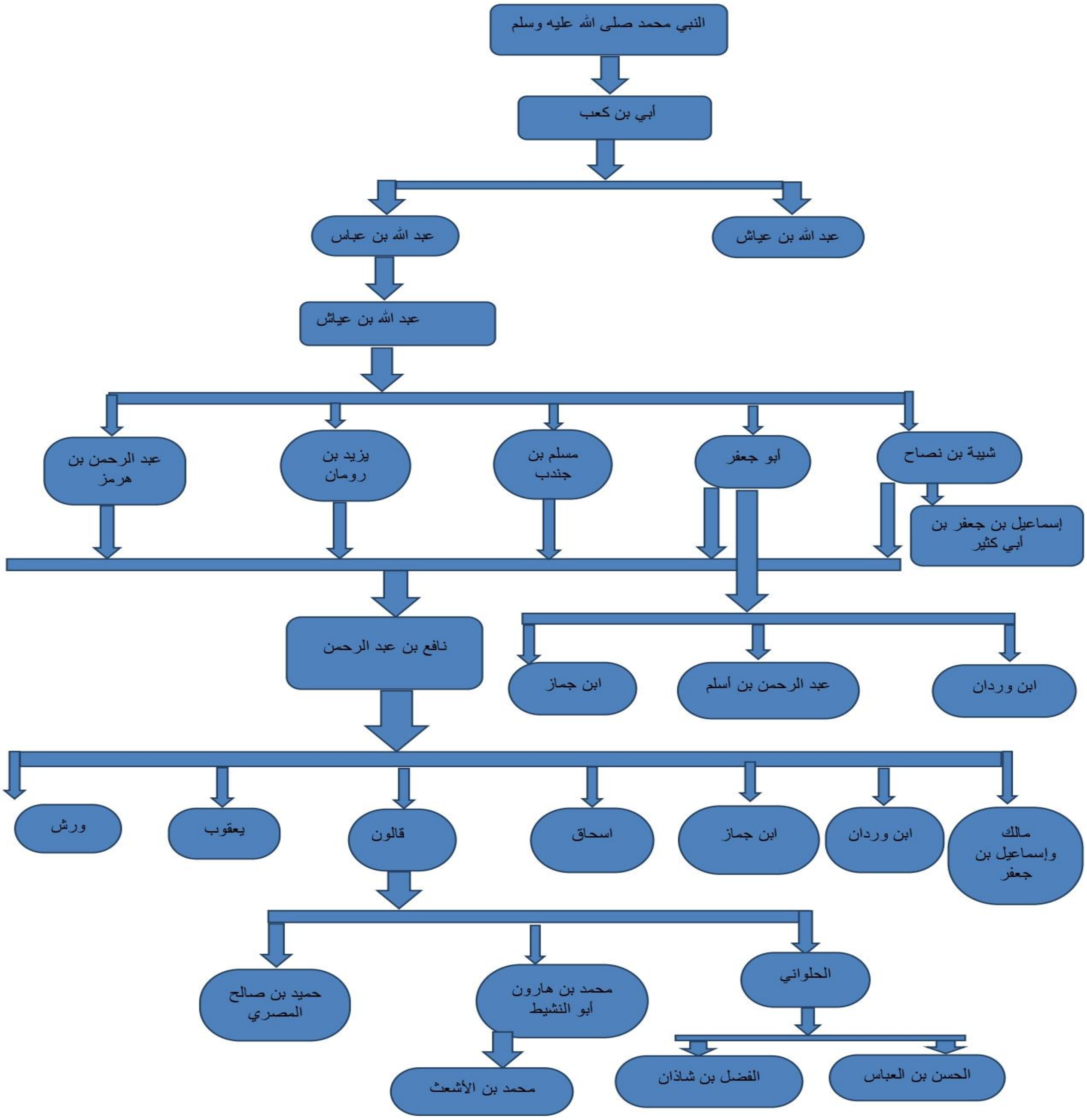

الشكل (2): رسم توضيحي موجز لمشاهير القراء في المدينة

وهذا الرسم التوضيحي، يوجز سلسلة مشاهير القرّاء في المدينة، ويضع بين يدي القارئ ملخصا موجزا، وهو ما يستوجب التنبيه إلى أن عدد القراء أكبر من أن يستوعبه رسم توضيح مبسط كالرسم المدرج أعلاه.

أما في إقليمي اليمن وحضرموت وما جاورهما من الجزيرة – بل في عموم أقاليم الجزيرة الباقية-، فإن النشأة كانت تقليدية، وامتدادا لنشأة القراءات كما ظهرت في مكة والمدينة، ومن الثابت في كثير من المصادر عناية الرسول عليه الصلاة والسلام باليمن وأهلها، فأوفد إليهم عددا من كبار أصحابه، يعلمونهم كتاب الله، ويحكمون فيهم بما أنزل، وكان من أشهر المبعوثين إلى اليمن؛ علي بن أبي طالب، ومعاذ بن جبل، وأبو موسى الأشعري، وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

وأول ما يُوقف عليه في رحلة البحث عن نشأة القراءات وتطورها وانتشارها في اليمن ما حدّث به أبو الرماح صفوان بن عسال[1] أنه "سمع رسول اللَّه - صلى الله عليه وسلم - يقرأ (يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ)، فقيل لرسول اللَّه - صلى الله عليه وسلم - أتميل وليس هي لغة قريش؟ قال: هي لغة الأخوال، يعني بني سعد (الهذلي، 2007، ج1 ص 310) وهذا يبين منهج النبي في تعليم الصحابة والوفود القراءات القرآنية؛ لأنها قرآن لا بد من تبليغها، والحكمة منها التسهيل على المسلمين.

بدأ دخول القراءات إلى اليمن مع دخول الصحابة الكبار إليها، يعلمون أهلها كتاب الله كما أخذوه عن رسوله الكريم، ومنهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وهو من الصحابة الذين جمعوا القرآن الكريم، وإليه تنتهي أسانيد قراءات عاصم، وحمزة، والكسائي، وقد دخل اليمن لدعوة أهل همدان إلى الإسلام، أما معاذ بن جبل، فيعد من أشهر أعلام مدرسة القراءات في اليمن في صدر الإسلام، وذكر أنس بن مالك، رضي الله عنه، من جمع القرآن على عهد النبي- صلى الله عليه وسلم- فقال: "أربعة كلهم من الأنصار أبى بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد" (البخاري، 1987، كتاب بدء الوحي)، وعن مسروق قال ذكر عبد الله عند عبد الله بن عمرو، فقال ذاك رجل لا أزال أحبه بعدما سمعت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يقول: "استقرئوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، فبدأ به وسالم مولى أبي حذيفة، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، قال: لا أدري بدأ بأُبي أو بمعاذ" (البخاري، 1987، كتاب بدء الوحي).

وممن قدم اليمن الصحابي أبو موسى الأشعري، أسلم فترة الدعوة في مكة المكرمة وكان ممن جمع القرآن في حياة النبي، "أصله من اليمن واختار الذهاب إلى وطنه لدعوة أهله وتعليمهم القرآن، ولقد أخذت عن أبي موسى جموع كثيرة من أهل اليمن القراءة وظلت قراءته هي السائدة في اليمن حتى وصول المصحف العثماني" (المنصوري، 2004، ص114)، وقد شكل بمعية علي بن أبي طالب، ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما نواة مدرسة القراءة فيها، ويتخذ الناس من القراءات المروية عنهم منهج حياة، وأخذ عنهم الكثير.

ومن الذين أخذ عنهم أهل اليمن، الصحابي أُبي بن كعب، الذي ينتهي إليه إسناد عدد من القراءات، كان رضي الله عنه يتولى تعليم الوفود القادمة إلى المدينة من أهل اليمن بأمر من الرسول وروي عن ناشرة بن سمي اليزني[2] قال: "كنت أتبع معاذ بن جبل أتعلم منه القرآن، وآخذ منه، فلما كنت في المدينة، وصليت في مسجد الرسول -صلى الله عليه وسلم- فقرأت القرآن، فمر بي رجل فضرب كتفي، وقال لي: ليس كما تقرأ، فلما فرغت أتيت معاذا، فأخبرته بقول الرجل، فقال معاذ: أتعرفه؟ قلت: نعم، وأريته إياه، فانطلق إليه معاذ، فقال: أخبرني هذا أنك رددت عليه ما قرأ، قال: نعم، وهو أبيّ بن كعب، يا معاذ، بعثك نبي الله- صلى الله عليه وسلم- إلى اليمن، فأُنزل بعدك قرآن، ونُسخ بعدك قرآن، فأتني بأصحابك يعرضون عليّ القرآن، فقال معاذ: يا ناشرة إن أعلم الناس بفاتحة آية وخاتمتها أُبيّ بن كعب، وإن أقدر الناس على كلمة حكمة أبو الدرداء، وإن أعلم الناس بفريضة، وأقسمه لها عمر بن الخطاب (الفسوي، 1999، ج1 ص 259).

دخلت قراءة نافع برواية موسى بن طارق اليمن في القرن الثاني للهجرة (الجندي، 1995، ج1 ص144)، وظلت تنقل بالسند المتصل برجال يمنيين حتى القرن الرابع، وبغير أهل اليمن حتى القرن الخامس للهجرة، وأما رواية قالون عن نافع، فقد دخلت صنعاء وتموضعت بها، وكان دخولها في القرن الرابع الهجري، فزيدية اليمن كانوا يعتمدون قراءة نافع، وهي قراءة أهل المدينة، وانتشرت هذه الرواية في مناطق متعددة من اليمن فكان المقرئ عبد الله بن أسعد بن أبي الهيثم وهو من قرية الملحمة يؤم الناس برواية قالون في عصره، وكان في القرن الخامس للهجرة (المنصوري، 2004، ص202).

والذي يظهر لنا أن القراءة في اليمن كانت في أول أمرها – النشأة- تعتمد على ما أقرأ النبيُ الصحابةَ الذين جاءوا إلى مكة، مثل أبو موسى الأشعري إذ كان النبي يُرجع الوفود القادمة إليه إلى أقوامهم بعد أن يعلمهم القرآن حتى يعلموا أقوامهم، ومن ثم الصحابة الذين يبعثهم النبي إلى الأمصار، فكان

---

[1] صَفْوَانُ بْنُ عَسَّالٍ الْمُرَادِيُّ مِنْ بَنِي الرَّبَضِ بْنِ زَاهِرِ بْنُ مُرَادٍ وَكَانَ عِدَادُهُ فِي بَنِي حَمَلٍ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- اثْنَتَيْ عَشْرَةَ غَزْوَةً سَكَنَ الْكُوفَةَ، وَحَدَّثَ عَنْهُ: عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ، وَأَبُو الْغَرِيفِ، وَزِرُّ بْنُ حُبَيْشٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَمَةَ الْمُرَادِيُّ، وَأَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَأَبُو الْجَوْزَاءِ. (الأصبهاني، 1998، ج3 ص 1501)

[2] نَاشِرَة بن سُمَيّ اليَزَنِيُّ المِصْرِيُّ، أدرك زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وروى عن: أُبَيِّ بن كعب، وعمر بن الخطاب -وشهد خطبة الجابية-، ومعاذ، وأبي ثَعْلبة الخُشَنِيّ، وأبي عُبَيدة بن الجَرَّاح، وأبي عَمرو بن حفص بن المغيرة.

وعنه: عبد الرحمن بن عائذ الأَزْدِيُّ الشَّاميُّ، وعُلَيّ بن رباح المصري. قال العِجْليُّ: ثقة. (ابن كثير، 2011، ج1 ص314)

النبي هو المعلم الأول في هذه الحقبة؛ وبعد ذلك كان الصحابة يُقرؤون الناس على قراءاتهم التي سمعوها من النبي، كما كان القراء من التابعين يُقرؤون الناس بما سمعوه من الصحابة، فكانت القراءات منتشرة في هذا الوقت بصحيحها وشاذها إلى أن جمع عثمان المصاحف، وبعد أن جمع عثمان المصاحف وبعثها إلى الأمصار أخذ القراء بالتوقف عن كل ما يخالف رسم المصحف.

وأما باقي أقاليم الجزيرة العربية، فلم يكن لها في طور نشأة القراءات القرآنية حظ أو نصيب في حدود استقراء البحث واجتهاده، فإقليم البحرين – مثلا- كان اسماً لسواحل نجد بين قطر والكويت حاليا، وكانت حجر قصبته، وهي الهفوف اليوم وقد تسمى الحسا، ثم أطلق على هذا الإقليم اسم الأحساء حتى نهاية العهد العثماني، وانتقل اسم البحرين إلى جزيرة كبيرة تواجه هذا الساحل من الشرق، هذه الجزيرة كانت تسمى "أوال" وهي إمارة البحرين اليوم، ويستفاد من هذه النصوص أن البحرين جغرافياً تتبع المدينة المنورة، إذ إنها تقع على خط مستقيم معها، ومما يؤكد هذا القول رواية ابن عباس: "البحرين من أعمال العراق وحده من عمان ناحية جرفار واليمامة على جبالها وربما ضمت باليمامة إلى المدينة (الحموي، 1968، ج1 ص347)، قال الهمذاني في البلدان: "والمدينة من نجد وأرض اليمامة والبحرين إلى عمان من العروض وتهامة تساير البحر" (ابن الفقيه، 1996،ص85) وهذا يشمل جزءا كبيرا مما تبقى من أقاليم الجزيرة العربية، وكلها فيما يظهر لنا كانت تتبع المدينة، واشتهر فيها ما اشتهر في المدينة من قراءات، دون أن يظهر فضل يميز قارئا من تلك الأقاليم.

وعند تتبع خبر الروايات التي وردت في مصحف البحرين، يظهر أن هذه الرواية يقويها عدد من الروايات، فقد أورد أبو عمرو الداني في كتابه "المقنع في رسم المصحف" فيما يخص عدد المصاحف العثمانية خمسة أقوال؛ موجزها "أن عثمان بن عفان- رضي الله عنه- لما كتب المصحف جعله على أربع نسخ، وبعث إلى كل ناحية من النواحي بواحدة منهن، فوجّه إلى الكوفة إحداهن وإلى البصرة أخرى، وإلى الشام الثالثة، وأمسك عند نفسه واحدة، وقد قيل أنه جعله سبع نسخ، ووجّه من ذلك أيضا نسخة إلى مكة، ونسخة إلى اليمن، ونسخة إلى البحرين، والأول أصح وعليه الأئمة" (الداني، 1978، ص19)، وقال ابن العربي المعافري الإشبيلي:"وروي أنها كانت سبعة مصاحف، فبعث مصحفا إلى مكة، وإلى الكوفة آخر، ومصحفا إلى البصرة، ومصحفا إلى الشام، ومصحفا إلى اليمن، ومصحفا إلى البحرين ومصحفا عنده، فأما مصحف اليمن والبحرين فلم يسمع لهما خبرا"(ابن العربي، 2003، ج4 ص475)، وهذا خلاف لما ذهب إليه الشيخ رضوان المخللاتي، وهو أن عدد المصاحف "على معتمد الأقوال فيها ستة كما يشهد الاستقراء، فإنه قد أرسل إلى مكة واحداً، وإلى الشام واحداً، وإلى الكوفة واحداً، وإلى البصرة واحداً، وأمسك بالمدينة واحداً لأهل المدينة، وواحداً لنفسه، وهو المسمى بالإمام" (المخللاتي، 2006، ص68)، وبهذا فإنه على أقوى الأقوال في المصاحف العثمانية أن رواية مصحف البحرين لم يسمع لها أي خبر، أي لا يعلم أين صار، على نحو يُستنتج منه أن البحرين كانت امتدادا للمدينة في القراءة.

يعد هذا الطور من أطوار القراءات القرآنية في الجزيرة العربية هو الأغنى، والأهم في التأسيس لمدارس القراءات القرآنية التي تطورت وانتشرت لاحقا، وإذا ما لزم تحديد القرون التي جاءت ضمنها، فإن الاستقراء يكشف عن تباين فيها من إقليم إلى آخر، إلا أنها في مجملها قد بدأت من عصر النبوة، وامتدت إلى القرن الرابع الهجري، وهذه القرون كما هو معلوم هي القرون التي تأسست فيها غالبية علوم القرآن والعلوم المتصلة به، وبرز فيها كذلك تكون المدارس العلمية الرائدة، والتي امتد تأثير بعضها حتى زماننا هذا، دون أن يكون الأمر خاليا من المؤثرات السياسية والدينية والفكرية التي سادت في ذلك الحين، وهو ما يظهر أثره بوضوح في المرحلة التالية للنشأة بعد ظهور المذاهب الفقهية وانتشارها، وظهور الفرق الإسلامية المتعددة، وتغير الأنظمة السياسية وتطورها.

المبحث الثاني:القراءات القرآنية في الجزيرة العربية حتى القرن التاسع الهجري- التطور.

جاءت هذه المرحلة امتدادا واضحا وجليا للمرحلة الأهم، وهي المرحلة السابقة، وتبدأ هذه المرحلة من القرن الرابع الهجري وبدايات الخامس، وتنتهي عند القرن العاشر وبدايات الحكم العثماني تحديدا، وفي تلك القرون بلغت علوم القرآن والعلوم المساندة له ذروتها وعصرها الذهبي.

ففي مكة المكرمة ثبتت قراءة ابن كثير، وقراءة نافع في المدينة حتى القرن الرابع تقريباً، ثم انتشرت قراءة أبي عمرو البصري من القرن الرابع إلى القرن التاسع، وكذلك كانت سائدة في جميع الأقاليم, ولكنها لم تكن هي القراءة المعمول بها في بلاد الجزيرة العربية: و"القراءات بمكة على حرف ابن كثير، وباليمن قراءة عاصم ثم قراءة أبي عمرو مستعملة في جميع الأقاليم (المقدسي، 1980،ج1 ص108)، أي كانت قراءة أبي عمرو منتشرة انتشارا واسعا، وكانت البصرة عاصمة للعلم والعلماء وكان أبو عمرو من كبار العلماء الذين اعتنوا بعلم القراءات القرآنية، قال الأصمعي: "سمعت أبا عمرو يقول ما رأيت أحدا قبلي أعلم مني، وقال الأصمعي: أنا لم أر بعد أبي عمرو أعلم منه" (شيخ الزور، 1995، ص11)، وقال أبو عمرو الأسدي "لما أتى نعي أبي عمرو أتيت أولاده فعزيتهم، وأني لعندهم إذ أقبل يونس بن حبيب، فقال نعزيكم وأنفسنا بمن لا نرى شبها له آخر الزمان، والله لو قُسم علم أبي عمرو وزهده على مائة إنسان لكانوا كلهم علماء زُهاداً، والله لو رآه رسول الله- صلى الله عليه وسلم- لسره ما هو عليه" (ابن الجزري، د.ت، ج1 ص128).

كان لهذه المكانة من الأسباب التي سارعت في انتشار قراءة أبي عمرو، وتعلم الحرف الذي اختاره حتى انتشرت قراءة أبي عمرو البصري من القرن الرابع وحتى القرن التاسع في مكة والمدينة، ويُعلم ذلك نقلا عن ابن مجاهد، الذي قال: "وحدثونا عن وهب بن جرير، قال: قال لي شعبة: تمسك بقراءة

أبي عمرو؛ فإنها ستصير للناس إسنادا، وقال أيضا حدثني محمد بن عيسى بن حيان حدثنا نصر بن علي قال: قال لي أبي، قال شعبة: انظر ما يقرأ أبو عمر مما يختار لنفسه فإنه سيصير للناس إسنادا، قال نصر: قلت لأبي كيف تقرأ؟ قال: على قراءة أبي عمرو، وقلت للأصمعي: كيف تقرأ؟ قال على قراءة أبي عمرو، قلت وقد صح ما قاله شعبة- رحمه الله- فالقراءة التي عليها الناس اليوم بالشام والحجاز واليمن ومصر هي قراءة أبي عمرو، فلا تكاد تجد أحداً يلقن القرآن إلى على حرفه خاصة في الفرش، وقد يخطئون في الأصول"(ابن الجزري، د.ت، ج1 ص128).

ثم ظهرت قراءة الدوري عن أبي عمرو، قدمت إلى الكوفة من البصرة وانتشرت مع الزمن، حتى طغت على عامة المشرق الإسلامي لعدة قرون، إلى أن أتى العثمانيون، ولم يذكر ابن الجزري عن العثمانيين في عصره قراءتهم بها، ولا عن أهل المشرق، وذكر الشيخ المقرئ محمد تميم الزعبي في مقدمة دراسته للمقدمة الجزرية عن القراءة التي كانت سائدة في زمن تأليف المقدمة الجزرية "الذي يظهر أن الرواية السائدة في زمن تأليف المقدمة هي قراءة أبي عمرو البصري، وليست رواية حفص عن عاصم الكوفي، كما يتبادر إلى الذهن في هذه الأيام، لأن رواية حفص لم تشتهر في بلاد الشام ومصر إلا في منتصف القرن الثاني عشر كما تجده موثقاً بالنقول، إذ إن قراءة أبي عمرو غلبت على أهل العراق والحجاز واليمن والشام ومصر والسودان وشرق أفريقيا إلى القرن العاشر الهجري" (الزعبي، 2008، ص14).

وبالتدقيق في إقليم اليمن يتبين أن قراءة أبي عمرو البصري قد نالت اهتماماً خاصاً من لدن أهل اليمن بعد دخول أبي عمرو إليها، حيث تتلمذ عدد من القراء اليمنيين على يديه، فكتب لهذه القراءة الانتشار في أقاليم اليمن جميعها، وقراءة أبي عمرو كما ذكر المقدسي كانت هي القراءة العامة في جميع أقاليم اليمن في القرن الرابع للهجرة، وظلت مستمرة فيما تلا ذلك من القرون، فقد أشار ابن الجزري، بأن قراءة أبي عمرو البصري كانت سائدة في اليمن في القرن الثامن للهجرة، ومطلع القرن التاسع.

ومجمل البحث أنه لم تحتفظ كتب القراءات إلا برواية واحدة لأهل اليمن وهي "رواية موسى بن طارق على شيخه نافع، من طريق علي بن زياد اللحجي، وعن ابن زياد أخذ المفضل بن محمد الجندي" (ابن الجزري، د.ت، ج1 ص242)، وعن المفضل أخذ ابن مجاهد، وهذه الرواية وردت في كتابين من كتب القراءة؛ "الأول: كتاب السبعة لأحمد بن مجاهد والثاني: كتاب الكامل في القراءات الخمسين لأبي القاسم الهذلي"(المنصوري، 2004، ص178)، ودخلت قراءة أبي عمرو اليمن في وقت مبكر، "فقد كان على خصومة مع الحجاج بن يوسف الثقفي، فخرج بصحبة والده إلى اليمن سنة95هـ، وقد استفاد في رحلته تلك، وجمع من ألفاظ العرب ولغاتهم الشيء الكثير، وقيل إن دفاتره كانت ملء بيته إلى السقف، ثم تنسك فأحرقها (الحنبلي، 1986، ج2 ص249)، وكان لدخوله اليمن أثر في بقاء قراءته، ثم انزوت هذه القراءة فيما تلا ذلك من القرون إلى إقليم كبير من أقاليم اليمن، وهو حضرموت، فقد احتضن أهلها هذه القراءة، وأولوها عناية خاصة" (المنصوري، 2004، ص198)، ويبدو أن رواية قالون عن نافع قبيل القرن التاسع والعاشر قد سادت وانتشرت، ومما يستدل به على ذلك ما أوردها علماء ذلك الزمان من أهل اليمن، فنجد على سبيل المثال أن المقرئ محمد بن أحمد بن الحسن، الشهير بالمفضل قد ألّف كتاب (العقد الفريد والدر النضيد في قراءة قالون بالتجويد)، قال في مقدمته: "وإني استخرت الله تعالى في جمع كتاب في تحقيق قراءة قالون عن نافع، لأني رأيت معظم أهل بلدنا على ذلك" (المنصوري، 2004، ص201)، وهذا نص صريح على ما كان سائدا في اليمن من قراءات ذلك الزمان.

أما أقاليم البحرين وعمان والعروض واليمامة، فلم يذكر أحد من المؤرخين انتشار قراءة فيها غير القراءة التي كانت في المدينة خلال تلك القرون، على نحو يماثل حال القراءة في عصر النشأة الأول للقراءات القرآنية.

والخلاصة، أن القراءة المستعملة في مكة المكرمة، والمدينة المنورة، واليمن، وحضرموت، وسائر أقاليم الجزيرة العربية، هي رواية الدوري عن أبي عمرو البصري، وذلك من خلال النصوص السابقة, والتتبع الذي تم للبحث، إلى جانب قراءات أخرى، وكذلك تبين للبحث أن جميع القراءات العشرة المتواترة كانت موجودة وتُدّرس لمن يطلبها من طلبة العلم أو المتخصصين، كما في تعليمها من منظومة "حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع" للإمام الشاطبي، وكذلك "الدرة المضية في القراءات الثلاث المتممة للعشر المرضية" لابن الجزري، وغيرها من المنظومات والمؤلفات التعليمية.

إن أهم ما يميز هذه المرحلة هو تلك المؤثرات السياسية والدينية والفكرية التي أشرنا إليها في خاتمة المبحث الأول أعلاه، فبدأ التزام القراءات القرآنية يعتمد معايير مختلفة كالمعيار المذهبي، أو حتى الطائفي، ومن ذلك - على سبيل المثال لا الحصر- أن نجد "وحدة الفكر المذهبي المالكي قد تجلت في مظاهر مختلفة كان أقلها الاستناد في قراءة القرآن منذ القرن الرابع إلى قراءة نافع" (عبد الله، 1981، ص113)، وهو ما يكشف المعيار المذهبي ودوره في تطور القراءات، ومنه أيضا المعيار الطائفي، فالشيعة مثلا يرون "أن قراءة عاصم وحدها هي القراءة المتواترة لارتباطها بقراءة علي" (كالو، 2008) وبيان ذلك أن المعلم الثاني لعاصم هو زر بن حبيش الذي كان طالبا عند ابن مسعود وعلي- كرم الله وجهه- وتبعهم لاحقا في ذلك الأباضية من أهل إقليم عمان.

ولم يخل الأمر من انتشار قراءات أخرى في نطاق محدود ضمن الجزيرة العربية العربية، ضمن هذه الحقبة، للأسباب الماضية، ومن ذلك على سبيل المثال أن بعض مفسري الزيدية في إقليم اليمن، في القرن الثامن للهجرة "ومنهم محمد بن علي الأعقم المتوفى سنة 773هـ له كتاب في تفسير القرآن ضمن رواية قالون عن نافع" (المنصوري، 2004، ص201).

المبحث الثالث:القراءات القرآنية في الجزيرة العربية من القرن العاشر الهجري إلى يومنا- الانتشار.

يمكن حصر هذا الطور من أطوار القراءات القرآنية في الجزيرة العربية من نهاية القرن التاسع الهجري ومطلع القرن العاشر الهجري إلى يومنا هذا، ولعل التحديد الأنسب له أن يُقرن ببدايات الحكم العثماني للعالم الإسلامي، ويمكن من الاستقراء المسبق لتطور لقراءات القرآنية في تلك الحقبة أن نبين أن المقصد من هذا المبحث هو بيان القراءات التي استقرت عليها الجزيرة العربية وانتشرت فيها، وعوامل ذلك وأسبابه، وما يتصل به من ملحوظات.

توفي ابن الجزري في القرن التاسع، وقال: إن القراءة في عصره بالشام والحجاز واليمن ومصر هي رواية الدوري عن أبي عمرو، وفي ذلك الوقت بدأت الدولة العثمانية تبسط سلطانها على معظم أرجاء العالم الإسلامي، فكانت رواية حفص عن عاصم تنتشر عند الأتراك، وقيل إن السبب في اختيار هذه الرواية أن أبا حنيفة كوفي، وعاصم كوفي، ولأن العثمانيين كانوا على المذهب الحنفي، فإنهم اختاروا قراءة رواية حفص عن عاصم، وقيل إن السبب يرجع إلى طباعة المصحف أي كانت أنسب الروايات توافقاً مع المطبعة آنذاك.

وخلاصة البحث تفضي إلى أن الدولة العثمانية التي بدأ حكمها منذ عام 922هـ، قد عنيت برواية حفص عن عاصم، وعند البحث في أحوال ذلك العصر يظهر ما يشبه إجماعا لدى المؤرخين على أن تراجع طلب العلم وضعفه قد ساد في ذلك العصر، دون بحث في أسبابه وأشكاله، وأول ما يُستدل به على التحول إلى رواية حفص عن عاصم بعد وفاة ابن الجزري واستلام العثمانيون لمقاليد السلطة، أن محمد بن بدر الدين المنشي الرومي الحنفي يصنف تفسيره سنة 981هـ برواية حفص، مما يدل على انتشارها بعد عصر ابن الجزري.

أما في إقليم اليمن، فإن الأمر كان مختلفا، ذلك أن المؤكد في بداية هذا العصر هو انتشار رواية قالون عن نافع، ويظهر ذلك من أوجه عدة، منها اعتماد الإمام الشوكاني لها في تفسيره فتح القدير، وكذلك فعل قبله الصنعاني في مفتاح الرضوان، واستمرت هذه القراءة حتى العهد الجمهور لليمن، وتدخلت عوامل مؤثرة في ذلك الأمر حكمها طبيعة العلاقة بين اليمن والدولة العثمانية، والمسافة الفاصلة بينهما، إضافة إلى الاختلافات المذهبية، فعلى سبيل المثال كان لأشاعرة اليمن اهتمام خاص بقراءة ابن العلاء، وكانوا يعدون إتقانها أحد أصولهم المنهجية، وكانوا يرددون ما يرويه القاضي أبو الحسن هبة الله بن عبد الله السبتي عن الإمام الشوكاني (الحموي، 1968، ج2 ص62):

إذَا كُنْتَ في عِلْمِ الأُصولِ مُوافِقاً ... بِعَقْلِكَ قَوْلَ الأَشْعَرِيّ المسدّدِ
وعامَلْتَ مَوْلاكَ الكَريمَ مُخالِصاً ... بِقَوْلِ الإمامِ الشّافِعِيّ المؤيّدِ
وأتقنتَ حرف ابن العلاء مجوداً ... ولم تَعْدُ في الإعراب قول المبردِ
فأنت على الحق اليقين موافقاً ... شريعة الخير المرسلين محمدِ

يكشف البحث أن أهل اليمن لم يكونوا يعتمدون قراءة معينة تقصي القراءات الأخرى، وإنما تعددت القراءات لديهم، فالتزمت كل جماعة منهم قراءة أو أكثر، وكان بعضهم يقرأ باختيار بعضهم الآخر، وخاصة في بدايات الحكم العثماني، وقبل انتشار مصاحف الدولة العثمانية، وفي القرن الرابع عشر للهجرة "كانت قراءة أهل صنعاء برواية قالون، كما كانت موضع اهتمام وبحث من أهل الإقراء، حتى عمت المصاحف المطبوعة برواية حفص عن عاصم، فأثار ذلك حفيظة بعض أهل الإقراء؛ فانبرى عدد منهم إلى كتابة مصنفات في رواية قالون، تقرب أصولها"(المنصوري، 2004، ص202).

وإذا ما تجاوز البحث الأخبار المشهورة عن انتشار رواية الدوري عن أبي عمرو في تلك القرون؛ فيمكن الوقوف على أخبار تؤكد أن قراءة عاصم أيضا دخلت اليمن في وقت مبكرا، وكانت هذه القراءة هي السائدة في بعض أقاليم اليمن في القرنين الثالث والرابع للهجرة، قال المقدسي: "القراءات بمكة على حرف ابن كثير، وباليمن قراءة عاصم"، فهذا النص يفيدنا بأن قراءة عاصم كانت تقرأ بها عامة أهل اليمن في تلك الفترة، ويبدو أنها استمرت حتى نهاية القرن الرابع الهجري (المنصوري، 2004، ص200). ونجد الأمر ذاته في المرحلة الثانية – مرحلة التطور- فقراءة عاصم كانت حاضرة مع غيرها من القراءات العشرة ثم انكمشت زمناً، وعادت إلى الصدارة في المرحلة الثالثة – مرحلة الانتشار- لتكون مقرأ أهل اليمن مع اعتماد الدولة العثمانية لها وفشو المصاحف المطبوعة فزاحمت رواية قالون عن نافع التي ظلت مقرأ أهل صنعاء وما جاورها، كما أنها نافست قراءة أبي عمرو البصري في حضرموت.

والخلاصة أن اليمن لم تعتمد قراءة أو رواية محددة تكون قراءة عامة الناس في هذه الحقبة؛ بل إن ذلك منذ القرن الأول، إلا أن هنالك قراءات ثبتت في اليمن وهي: حفص عن عاصم، والدوري عن أبي عمرو، وقالون عن نافع، وهذه الروايات منتشرة في أنحاء اليمن، ففي صنعاء رواية قالون، وفي حضرموت الدوري عن أبي عمرو البصري، أما وراية حفص فمنتشرة في جميع أقاليم اليمن.

في إقليم حضرموت كان التمسك برواية الدوري عن أبي عمرو، وكتبت بها المصاحف الحضرمية، "فالناس اليوم في حضرموت يقرؤون برواية الدوري عن أبي عمرو البصري، وأكثر تركيزهم على الفرش من هذه الرواية دون الأصول، ويثبت أن هذه القراءة ظلت مستمرة لقرون عدة حتى عصر ابن الجزري؛ أي في النصف الأول من القرن التاسع، ويمكن القول إن هذه القراءة زوحمت من قبل بعض القراءات، ثم عادت إلى الصدارة في القرن العاشر حتى اليوم"(المنصوري، 2004، ص199)، وهي تواجه منافسة قوية اليوم من رواية حفص عن عاصم لأسباب متعددة، قد تنتهي بإحلالها محالها.

وأما أقاليم الجزيرة العربية الباقية، فإنها قد بدأت تخضع لتغيرات سياسية من جهة الحكم، وأحكمت الدولة العثمانية القبضة على أغلبها، لكنها في المجمل كانت تعكس الحالة تسود وتنتشر في إقليمي الحجاز وتهامة.

قامت الدولة العثمانية بنشر المصحف المطبوع الموافق لرواية حفص على الدول الإسلامية؛ فأخذت رواية حفص عن عاصم تحل تدريجيا محل رواية الدوري عن أبي عمرو، حتى أصبح أهل مكة المكرمة والمدينة المنورة في القرن الحادي عشر على رواية حفص عن عاصم، وقد أسهم في ذلك أيضا اختيار العثمانيين لأئمة الحرمين الذين ينتهجون نهج الدولة، ومنهم على سبيل المثال "محمد بن بدر الدين الملقب محيي الدين الشهير بالمنشي الرومي الأقحصاري الحنفي المفسر كان من إجلاء العلماء المحققين، صنف تفسيره المشهور، واقتصر فيه على قراءة حفص، وشرع في تأليفه ببلدته اقحصار من أعمال صار وخانوكان،...، صار شيخ الحرم النبوي في آخر الربيعين من سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة، ورحل إلى المدينة وسكنها، وكانت وفاته وهو بالحرم المكي في سنة إحدى بعد الألف" (المحبي، 1960، ج3 ص400)، وكان السبب في سرعة انتشار رواية حفص عن عاصم هو إرادة الدولة العثمانية ذلك، فلعل الأمر فيه جانب من السياسة في فرض سلطانها وهيمنتها، فصارت ترسل أئمة وقضاة ومقرئين يتبعونها إلى أرجاء العالم العربي، وكذا عن طريق المصاحف التي عملتها، فانتشرت رواية حفص حتى أصبحت هي المطلب الأول في طلب تعلم القراءات: لأنها هي القراءة المستعملة عند عامة الناس، ويروى "أن عمر بن محمد البصير الشافعي المصري نزيل حلب المقري المتقن العارف باختلاف القراءات ووجوهها كان ضنيناً بتعليم القراءات السبع، لم يقرئ أحداً بذلك، وكل من طلب منه الإقراء بغير قراءة حفص يسوفه ويماطله" (المرادي، 1988، ج3 ص189)، وإذا ما تقدم البحث في الزمان للأمام؛ فيمكن الوقوف على علم متميز هو الشيخ السيد أحمد بن السيد علي بن السيد محمد الشهير بالحلواني[3] وهذا فيه دلالة واضحة من أن رواية حفص عن عاصم هي المقصد الأول في طلب تعلم القراءات؛ لأنها هي القراءة المعمول بها عند العامة من الناس، وما يلي ذلك من القراءات فإنه خاصة بطلبة العلم، ولا يتجاوزهم.

وبعد ذلك بدأت طباعة المصاحف تتقدم وتنتشر، وتكون أكثر دقة، ومن أشهر الطبعات في ذلك الوقت مصحف المخللاتي، وهو "مصحف غاية في الدقة، كتبه العلامة الكبير رضوان بن محمد بن سليمان الشهير بالمخللاتي، ولقد عني فيه كاتبه بكتابة الكلمات القرآنية وفق الرسم العثماني، واعتمادا منه على ما في كتاب المقنع للإمام أبي عمرو الداني، وكتاب التنزيل لأبي داود، طبع هذا المصحف في المطبعة الحجرية البهية في القاهرة سنة ثمان وثلاثمائة وألف هجرية" (الجرمي، 2001، ج1 ص271)، وبسبب رداءة ورقة، وسوء طباعته الحجرية، قامت مشايخ الأزهر بتأليف لجنة للنظر فيه، "فُكتب مصحف بخط الشيخ محمد علي خلف الحسيني، على قواعد الرسم العثماني، وضُبط على ما يوافق رواية حفص عن عاصم، على حسب ما ورد في كتاب الطراز على ضبط الخراز لمحمد بن محمد بن إبراهيم أبو عبد الله الشهير بالخراز، مع إبدال علامات الأندلسيين والمغاربة بعلامات الخليل بن أحمد، وكانت هذه الطبعة في عام 1923م فتلقاها العالم الإسلامي بالقبول" (العوفي، 2010، ص58)، ثم كانت بداية طباعة المصحف الشريف في المملكة العربية السعودية عام 1369هـ الموافق 1949م، عندما ظهر المصحف المعروف بمصحف مكة المكرمة (العوفي، 2010، ص59)، وفي سنة 1961 م تم تسجيل المصحف برواية حفص عن عاصم بقراءة الشيخ محمود الحُصري" (الجرمي، 2001، ج1 ص119).

ومازالت رواية حفص عن عاصم هي القراءة المستعملة في المساجد، وعند عامة الناس في مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والبحرين، والدول المستقلة عن الجزيرة سياسيا كقطر والإمارات وعمان، حتى اليوم، وهي الأكثر شهرة على مستوى العالم الإسلامي ومصاحفها الأكثر طباعة ودقة وانتشارا.

وخلاصة النظر والبحث في هذه الحقبة التي تقارب خمسة قرون تكشف أنه يمكن تقسيمها إلى نصفين، في نصفها الأولى قرنان وزيادة ساد الجهل، وركد التأليف، وزادت العجمة مقارنة بالقرون التي مضت، وخلالها بقيت القراءات المنتشرة هي القراءات التي اشتهرت فيما قبل القرن العاشر الهجري، وعلى رأسها قراءة أبي عمرو من رواية الدوري، أما في النص الثاني من هذه الحقبة وتحديدا في آخر مئتي سنة من يومنا هذا، فإن القراء التي التي انتشرت هي ما كان برواية حفص عن عاصم.

وقفة أخيرة

إن المتأمل في واقع القراءات القرآنية اليوم في الجزيرة العربية بمفهومها الاصطلاحي المعاصر، يتبين له أن رواية حفص عن عاصم هي الغالبة بصورة مطلقة، بل إن هذه الرواية منتشرة بصورة كبيرة جدا في مختلف بلاد العالم الإسلامي، وهذا هو ما دفع كثيرا من الباحثين للسؤال عن أسباب

[3] هو الشيخ الإمام، والحبر الهمام، معتقد الخاص والعام، وشيخ القراء في دمشق الشام، ثم في سنة ثلاث وخمسين ومائتين وألف ذهب إلى مكة المشرفة، فأخذ عن شيخ القراء بها الشيخ أحمد المصري المرزوقي البصير المكي الدار والوفا توفي بمكة عام 1262هـ ودفن بمقبرة المعلاة .قال الزركلي في الأعلام وعمر رضا كحالة في معجم المؤلفين :كان حياً عام 1281هـ وقد وصفه في معجم المؤلفين في ترجمة تلميذه الحلواني بـ (الضرير) فيبدو أنه عمي في أواخر أيامه، فقرأ عليه ختمة مجودة من طريق حفص، ثم حفظ عليه الشاطبية، وقرأ القراءات السبع من طريقها، ثم حفظ الدرة، وأتم القراءات العشر من طريق الشاطبية والدرة، ثم حفظ الطيبة لشيخ هذا الفن الشيخ محمد بن الجزري، وقرأ عليه ختمة من طريقها للقراء العشرة، ثم أجازه الشيخ بالقراءات العشر وما تجوز له روايته (البيطار، 1993، ص253)

انتشار هذه الرواية دون غيرها، على نحو جعل بعض الباحثين يستهجن هذا الواقع استنادا إلى أن الروايات المتواترة كلها لا فضل بينها.

واحتج بعض المتعصبين ضد هذا بالواقع ببيان تاريخ هذه الرواية والذي يكشف أنها لم تكن هي السائدة في العهد الأول للقراءة، وممن ذكر ذلك محمد بن الهيثم المقرئ، وابن مجاهد في كتاب السبعة في القراءات، كما أن الذين التفتوا إلى قراءة حفص كان اهتمامهم بها عن طريق رواية شعبة أكثر من رواية حفص، ومما يستدل به على ذلك أن تفسير الطبري لم يقدم طريق حفص، وإذا تركنا ذلك جانبا، وعدنا إلى السؤال فيمكن حصر الإجابة الموثوق في صحتها بالأسباب الآتية:

الأسباب اللغوية: وهي فيما نرجح أقوى الأسباب لذيوعها وانتشارها قديما، فموافقتها لقواعد اللغة العربية الفصحى لا يمكن إنكارها، كما يظهر ذلك في رسم كلماتها، وينعكس أيضا على مستوى القراءة في الملحوظات الآتية:

- أقل الروايات إدغاما.
- لا يوجد بها إلا إمالة واحدة.
- لا أحكام مختلفة لالتقاء الهمزات إلا همزة واحدة.
- لا ميم جمع سواء كان الحرف الذي بعد الميم همزةً أم لا.
- لا ياءات زوائد إلا ياء واحدة والوقف عليها ليس بوقف.
- لا يوجد بها اختلاس حركات، ولا إشمام إلا في موضع واحد.

وما ذكرناه من الأسباب اللغوية، يسميه بعض الباحثين سهولة الرواية (حزام، 2007، ص19) ويقارن بينها وبين الروايات الأخرى، على نحو لا يخلو من المفاضلة، وهو الأمر الذي لا يقبله هذا البحث.

الأسباب العلمية: وتتمثل ذلك في ثناء كبار العلماء والأئمة على رواية حفص عن عاصم، والشهادة لحفص، ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: ابن معين، والداني، والشاطبي، وابن الجزري، وابن المنادي، وغيرهم، وذكرها كثير من العلماء بطرق مختلفة على نحو دلل على مكانتها واستحسانها.

الأسباب السياسية: وتتمثل بقبول الدولة الإسلامية لها على الرغم من اختلاف دور الخلافة من عصر إلى عصر، وقد أشرنا أيضا بما يغني عن التكرار في حديثنا عن سياسة الدولة العثمانية في تعيين الأئمة الكبار، والمقرئين القائمين على رواية حفص دون غيرها، وتبنى لاحقا موقف الدولة العثمانية من رواية حفص الدولة السعودية، وتمثل ذلك برعايتها وطباعتها ونشرها للمصحف الذي برواية حفص دون غيره، وصاحب ذلك دور الإذاعات والمدارس ومعاهد تعليم القرآن والجامعات وغيرها في تقديم هذه الرواية.

الأسباب المذهبية: وقد بينا في سياق ما تقدم أن عناية العثمانيين بالمذهب الحنفي الذي يمتد إليه سند حفص عن عاصم، دفع الدولة العثمانية إلى تقديمها على غيرها من القراءات، وكذلك الحال عند الشيعة الذين يمتدون بسندها إلى علي كرم- الله وجهه- ويشبه الحال اليوم ما يعتقد بعض السلفية في الجزيرة والمغرب والشام بأفضلية هذه القراءة.

ولم يصح في حدود البحث أي إلزام للدولة العثمانية بها كما يروج في بعض المقالات والبحوث، غير أن عناية العثمانيين بها سياسيا ومذهبيا جعلت ذلك يفسر على أنه إلزام، ولو صح ذلك لما بقي من القراءات شيء إلى جانب قراءة عاصم ورواية حفص، وهو ما يدحضه الواقع، وأما الحديث عن ملائمة رواية حفص عن عاصم للطباعة أكثر من سواها في زمن العثمانيين والطباعة الأولى للمصحف، فهو من التهافت والركاكة على النحو الذي يجعله سببا لا يعول عليه في المسألة [(4)]، ومهما يكن فإن مشيئة الله غلبت بانتشار هذه القراءة وتراجع غيرها، دون أن يمنع ذلك من إنصاف القراءات الأخرى والدعوة إلى العناية بمختلف الروايات المتواترة، وتعليمها ونشرها.

الخاتمة

سعى البحث لإبراز الملامح التاريخية الأساسية للقراءات القرآنية في الجزيرة العربية، على نحو يوافق التقدير للأهمية التي تحظى بها الجزيرة العربية في هذا المقام وعلى وجه الخصوص في الأقاليم الرائدة من الجزيرة كالحجاز وتهامة واليمن وحضرموت، وكذلك على نحو يحرص على إبراز أشهر القراءات والعلماء الذين تعاقبوا زمنيا على الجزيرة العربية من النشأة إلى يومنا هذا، دون خوض مغرق في الأسماء والتواريخ، مع تجنب للخلافات، واكتفاء بأشهر الروايات، وعلى نحو يقتصر على الصورة العامة للقراءات في كل حقبة تاريخية وقف البحث عليها، وتركنا لكتب الرجال والطبقات والتراجم الاحتفاظ بمخزونها الضخم من الأسماء والأعلام، طلبا للتيسير، وسعيا للتبسيط.

---

(4) عادت الدراسة في هذه المسألة لمجموعة من المقالات والردود عليها، منشورة إلكترونيا في ملتقى أهل التفسير ضمن الرابط: https://vb.tafsir.net، وموقع طريق الإسلام، ضمن الرابط: https://ar.islamway.net/counsel/35727.

وتبين للبحث على هامش الاستقراء والجمع والتتبع النتائج الآتية:

- إن نشأة القراءات القرآنية وتطورها وانتشارها في الجزيرة العربية كان أمرا متعدد الاتجاهات والجوانب، ومتباينا في مراحله الزمانية والمكانية.
- لم يكن الأمر خاليا من مؤثرات ألقت بظلالها على القدماء، وكشفت هذه المؤثرات عن بعض أوجه الخلاف الذي أحدثته بينهم، ذلك أن التنوع المذهبي والتعدد الفكري والصراعات السياسية يحتاج إلى كثير من الدقة والجهد؛ لرسم الصورة الحقيقة والدقيقة للمسألة، والوقوف على الأثر الذي تركه في ظهور علم القراءات وتطوره وانتشاره.
- تلمس البحث أثرا للقراءات القرآنية في توجيه كتب التفسير، على نحو يشكل امتداد للأثر المذهبي في مختلف التفاسير، مما يجعل الأمر جديرا بدراسة متخصصة، تضيء جوانب من المسألة.
- تبين للبحث أن القراءات القرآنية في الجزيرة العربية لم تكن منفصلة في واقعها عن القراءات في المناطق الأخرى من البلاد الإسلامية، كالعراق، والمغرب، ومصر، وبلاد الشام، وهو ما يستوجب تتبعها في تلك المناطق.
- ما سبق يجعل هذا البحث يوصي الدارسين بتتبع أثر الصراعات الفكرية، والتعددات المذهبية، والتحولات السياسية في نشأة القراءات القرآنية وتطورها وانتشارها.

المصادروالمراجع

ابن الجزري، ش. (1999). *منجد المقرئين ومرشد الطالبين*. (ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن الجزري، ش. (د.ت). *غاية النهاية في طبقات القراء*. (ط2). القاهرة: مكتبة ابن تيمية.

ابن العربي، م. (2003).*أحكام القرآن*. (ط3). بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن الفقيه، أ. (1996).*البلدان*. (ط1). بيروت: عالم الكتب.

ابن كثير، إ. (2011).*التكميل في الجرح والتعديل ومعرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل*. (ط1). اليمن: مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة.

ابن مجاهد، أ. (1980).*السبعة في القراءات*. (ط2). القاهرة: دار المعارف.

الأصبهاني، أ. (1998). *معرفة الصحابة*. (ط1). الرياض: دار الوطن للنشر.

البخاري، م. (1987)*. الجامع الصحيح*. (ط1). القاهرة: دار الشعب.

البغوي، ح. (1983). *شرح السنة*. (ط2). دمشق- بيروت: المكتب الإسلامي.

البيطار، ع.(1993). *حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر*. (ط2). بيروت: دار صادر.

الجرمي، إ. (2001). *معجم علوم القرآن*، (ط1). دمشق: دار القلم.

الجندي، م. (1995). *السلوك في طبقات العلماء والملوك*. (ط2). صنعاء: مكتبة الإرشاد.

حزام، ف. (2007). أسباب انتشار رواية حفص عن عاصم في العالم الإسلامي. *مجلة الباحث الجامعي*، 14(15)، 19-48.

الحموي، ي. (1968). *معجم البلدان*، (ط1). بيروت: دار صادر.

الحنبلي، ع. (1986). *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*. (ط1). دمشق: دار ابن كثير.

الداني، ع. (1978).*المقنع في رسم مصاحف الأمصار*. (ط1). القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية.

الذهبي، م. (1985). *سير أعلام النبلاء*. (ط3). بيروت: مؤسسة الرسالة.

الذهبي، م. (1988). *معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار*. (ط2). بيروت: مؤسسة الرسالة.

شيخ الزور، ف. (1995).*تراجم القراء*. كتاب إلكتروني. من الموقع: https://islamhouse.com/ar/books/810341/.

عبد الله، ع. (1981). الفقه المالكي والوحدة المذهبية بين المغرب وصحرائه. *مجلة دار الحديث الحسنية*، (2)، 231-242.

العوفي، م. (2010).*كتابة المصحف الشريف وطباعته*. (ط3)، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

الفاسي، م. (1998). *العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين*. (ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.

الفسوي، ي. (1999).*المعرفة والتاريخ*. (ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.

القاضي، ع. (2002). *تاريخ القراء العشرة ورواتهم وتواتر قراءاتهم ومنهج كل في القراءة من طريق الشاطبية والدرة للإمامين الشاطبي وابن الجزري*. (ط1). القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث.

كالو، م. (2008). *مبررات اختيار قراءة حفص، في ملتقى أهل التفسير*. من موقع:tafsir.net

المارغني، إ. (2005). *دليل الحيران على مورد الظمآن*. (ط1). القاهرة: دار الحديث.

المحبي، م. (1960). *خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر*. (ط1). بيروت: دار صادر.

المخللاتي، ر. (2006). *مقدمة شريفة كاشفة لرسم الكلمات القرآنية*. (ط1). القاهرة: مكتبة الإمام البخاري.

المرادي، م.(1988). *سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر*. (ط3). بيروت-الرياض: دار البشائر الإسلامية ودار ابن حزم.

المقدسي، ش. (1980).*أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*. (ط1). دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

المنصوري، ع. (2004). *علم القراءات في اليمن من صدر الإسلام إلى القرن الثامن الهجري*. (ط1). اليمن: منشورات جامعة صنعاء.

الناصري، غ. (2003). *محاضرات في علوم القرآن*. (ط1). عمان: دار عمار.

الهذلي، ي. (2007). *الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليه*. (ط1). القاهرة: دار سما للتوزيع والنشر.

References

Abdullah, A. (1981). Maliki's jurisprudence and sectarian unity between Morocco and its Sahara. *Journal of Dar al-Hadith al-Hasaniyya*, (2), 231-242.

Al-Asbahani, A. (1998). *Ma'refat Al-Sahaba*. (1st Ed.). Riyadh: Dar Al-Watan.

Al-Awfi, M. (2010). *Writing and printing the Holy Quran*. (3rd Ed.). Al-Madinah Al-Munawara: King Fahd Complex for Printing of the Holy Quran.

Al-Baghawi, H. (1983). *Sharh Al-Sunna*. (2nd Ed.). Damascus - Beirut: The Islamic Office.

Al-Bitar, A. (1993). *Huliat Al-bashar in the History of the Thirteenth Century*. (2nd Ed.). Beirut: Dar Sader.

Al-Bukhari, M. (1987). *Saheeh Al-Bukhari*. (1st Ed.). Cairo: Dar Al-Shaab.

Al-Dani, O. (1978). *Al-Muqni ' in drawing of masahif Al-Amsar*. (1st Ed.). Cairo: Al-Azhar Colleges Library.

Al-Dhahabi, M. (1985). *Sear A'alam Al-nubala*. (3rd Ed.). Beirut: Al-Risalah Foundation.

Al-Dhahabi, M. (1988). *Ma'refa Alqurra' Al-kibar upon levels and times*. (2nd Ed.). Beirut: Al-Risalah Foundation.

Al-Fasawi, Y. (1999). *Alm'arfah waltarykh*. (1st Ed.). Beirut: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah.

Al-Fassi, M. (1998). *Al'aqd althmyn fy tarykh albld al'amyn*. (1st Ed.). Beirut: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah.

Al-Hamwi, Y. (1968). *Dictionary of Countries*. (1st Ed.). Beirut: Dar Sader.

Al-Hanbali, E. (1986). *Shatharat Al-thahab fi Akhbar mn thahab*. (1st Ed.). Damascus: Dar Ibn Katheer.

Al-Hudhali, Y. (2007). *Al-Kamil fi Alqira'at Al-Ashara*. (1st Ed.). Cairo: Dar Sama for Distribution and Publishing.

Al-Jarami, I. (2001). *Dictionary of Quran Sciences*. (1st Ed.). Damascus: Dar Al-Qalam.

Al-Jundi, M. (1995). *Alsolook in the tabaqat of Scholars and Kings*. (2nd Ed.). Sana'a: Al-Irshad Library.

Al-Mansouri, A. (2004). *The science of recitation in Yemen from the beginning of Islam to the eighth century*. (1st Ed.), Yemen: Sana'a University Publications.

Al-Maqdisi, S. (1980). *Ahsan Al-taqaseem in Knowing the Territories*. (1st Ed.). Damascus: Ministry of Culture and National Guidance.

Al-Mekhallalati, R. (2006). *An honorable and revealing introduction to drawing Quranic words*. (1st Ed.). Cairo: Imam Al-Bukhari Library.

Al-Mohebbi, M. (1960). *A summary of the impact on the notables of the eleventh century*. (1st Ed.), Beirut: Dar Sader.

Al-Mouradi, M. (1988). *Salk Al-dorar in the notables of the twelfth century*. (3rd Ed.). Beirut-Riyadh: Dar Al-Bashayer Al-Islamiyyah and Dar Ibn Hazm.

Al-Nasiri, G. (2003). *Lectures on Quran Sciences*. (1st Ed.), Amman: Dar Ammar.

Al-Qadi, A. (2002). *The history of the ten reciters and their narratives, the frequency of their readings, and the curriculum of*

each in reading from Al-Shatibiya and Al-Durra by Imams Al-Shatibi and Ibn Al-Jazari. (1st Ed.), Cairo: Al-Azhar Library for Heritage

Hizam, F. (2007). The Reasons for the Spread of Hafs's Narration of Asim in the Islamic World. *Journal of Al-Baheth Al-Jami'i,* 14(15), 19-48.

Ibn al-Arabi, M. (2003). *Ahakam alqraan*. (3rd Ed.). Beirut: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah.

Ibn Al-Faqih, H. (1996). *Al-Buldan*. (1st Ed.). Beirut: Aalam Alkotob.

Ibn al-Jazri, S. (1999). *Munjid al-Muqreen and guide to Al-Talibeen*. (1st Ed.). Beirut: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah.

Ibn al-Jazri, S. (n. d.). *Gayat Al-nehaya fi Tabaqat Alqura'a*. (2nd Ed.). Cairo: Ibn Taymyah Library.

Ibn Kathir, I. (2011). *Al-Takmeel fi Al-Jarh wa Al-Ta'deel.* (1st Ed.). Yemen: An-Nu'man Center for Research and Islamic Studies and the Verification of Heritage and Translation.

Ibn Mujahid, A. (1980). *Al-Qiraat Al-Sab'aa.* (2nd Ed.). Cairo: Dar Al Maaref.

Kalou, M. (2008). Justifications for Choosing to Recite Hafs. In *The People of Interpretation Forum*. Retrieved from: https://vb.tafsir.net

Marghani, I. (2005). *Daleel Al-Hayran ala Mawred Al-tham'aan*. (1st Ed.). Cairo: Dar Al-Hadith.

Sheikh Al-Zour, F. (1995). *Targamat Alqurra'.* An e-book retrieved from: https://islamhouse.com/ar/books//810341..